الباب الرابع

الوعي الإجتماعي في ' مسرح المجتمع '

الباب الرابع

الوعي الإجتماعي في "مسرح المجتمع"

لقد ذكرنا أنّ توفيق الحكيم كتب كتباً كثيرة عددها مائة و نيف فيما بين الفنون المختلفة من المسرحية و القصص و الرّواية و غيرها . بل اكثر ما ترك من أعماله الأدبية هي في فن المسرحية ، حاول الحكيم فيها أن يعالج قضايا المجتمع المختلفة المعاصرة في مصر من المشاكل الإجتماعية و السياسية و النسوية . و صدرت كل من تلك الأعمال وقتاً فوقتاً . فكذلك نشرت مجموعة "مسرح المجتمع" سنة ١٩٥٠م في

مجلّد كبير يشمل إحدى و عشرين مسرحية تضمن أوحاء مختلفة للمجتمع المصري في الأعوام التي تضمنت عنها الحرب العالمية الأخيرة ، و كانت للفنان ملاحظة دقيقة في القضايا الإجتماعية التي تقابلها مصر وقتئذٍ. و نعمت الفقرة التي كتبها الدكتور محمد مندور في هذا الصدد:

و في الوقت الذي كان فيه كثير من النقّاد يأخذون علي الحكيم هذا الإتّجاه الذهني في مسرحياته. و يعيبون عليها عدم نجاحها علي خشبة المسرح لطغيان الحوار الذهني فيها علي عناصر الدراما المثيرة . ثمّ التجريد في موضوعاتها و بعدها عن واقع حياتنا و مجتمعنا و مشاكله الواقعية المحدّدة في ذلك الوقت ؛ كان الحكيم في فترة خروجه من العمل الحكومي قد تعاقد مع إحدى المجلاّت الأسبوعية على التحرير المنتظم فيها . و اختارأديبنا لهذا التحرير سلسلة من المسرحيات القصيرة أو المتوسّطة رأي ان يتناول فيها عدداً من مشاكل المجتمع المصري الحية . مثل مشكلة

المرأة و فساد الحياة السياسية و الدولاب الحكومي و طغيان التيارالمادّي ، و حياة الريفي المصري. و قد رمى من ذلك هدفين : اولهما أن يقدّم للصحيفة مسرحيات خفيفة حية تثير اهتمام جمهرة قرائها ؛ و ثانيهما ان يرد عمليا علي النقاد الذين أخذوا يتهمونه بالإيغال في المسرح الذهني و الهروب من واقع حياته و حياة مجتمعه إلي عالم الأساطير و الموضوعات المجردة . و أسفرت هذه الفترة من حياة الحكيم عن ذلك محصول الكبير من المسرحيات ذات الطابع الإجتماعي . و قد بلغ عددها إحدى و عشرين مسرحية جمع فيما بعد و طبعها تحت عنوان "مسرح المجتمع."[1]

و بعد هذا التعليق المجمل علي "مسرح المجتمع" لتوفيق الحكيم نحن نودّ أن نلقي الضوء علي مسرحيات هذه المجموعة و كيف كان الحكيم يعالج مجتمعات مصر المختلفة و ما كان دورها للوعي القومي.

---

[1] د/ محمد مندور : مسرح *توفيق الحكيم*، ص١١٧ - ١١٨ .

اللص :

و هي مسرحية صدرت في أربعة فصول كتبها توفيق الحكيم قصّة تمثيلية عام ١٩٤٨ م و مثّلت في العام نفسه . يصفها الكاتب بأنها من وحي رجال المال والأعمال و صراع الأجيال . و الهدف الأساسي بهذه المسرحية هي المداهمة المباشرة علي التجّار الرأسماليين و غير ذوي المبادئ و علي تأثيرهم المفسد علي حياة الشعب الأخلاقية و علي شبان مصر خاصّة .[2]

---

[2] Badawi, M.M.: *Modern Arabic Drama in Egypt,p. 57.*

فيعرض لنا الحكيم فيها قصّة الباشا رجل الأعمال الشرير الفاسد الخلق المنعدم الضمير ، و ابنة زوجته البريئة العفيفة التي تناضل طوال المسرحية دفاعاً عن شرفها ضدّ شهوات الباشا ؛ كما يعرض موضوع كفاح الشباب البرئ ، الملئ بالمثل ، الخاوي بالوفاض ضدّ الشر المسيطر الذي يمثله فساد المجتمع و أصنامه من أمثال الباشا . و يرسم صورة مقنعة للمرأة المغرمة المحتاجة ، و زوجة الباشا و أمّ البنت ، و هي معذّبة ممزّقة بين حبّها لزوجها ، و خوفها من أن تقع ابنتها في الشراك التي ينصبها الرجل الوغد بهداياه الغالية .[3]

و يضيف الكاتب الحكيم إلي هذا كله مناظر مشوقة تستعير أساليب الأدب البوليسي ، فيبدأ المسرحية بشابٍ اسمه حامد و

[3] مجلة *الهلال* ، العدد ٢٢٤ ، نوفمبر ١٩٦٩ ، ص ٦٦ .

هو يقتحم غرفة نوم الفتاة للسرقة ، فلا تنتهي من هذا الإستهلال المثير إلا و تطالعنا مفاجأة أخري هي أنّ اللصّ ليس لصّاً ، و انما هو شابّ فقير كل ما يطلبه من دنياه هو مائة جنيه يفتتح بها مكتبة يكسب منها عيشه ، بعد أن طال عمله عند صاحب مكتبة .

و سرعان ما نتبيّن أنّ الفتاة - اسمها خيرية - تعرف الشابّ فعلاً ، فقد سبق ان اشترت كتباً دينية من مكتبته ، و يتبادل الشابّان الأنباء و الآراء ، و يدور بينهما حوار مسل و ذكي من النوع الذي يبرع فيه توفيق الحكيم ، و الذي ينقلنا فيه من موقف إلي موقف ، فإذا الشابّان قد تألّفا و تحابّا و تعاهدا علي الزواج .

و هنا يطرأ الباشا علي الأحداث ، فيفاجئ الأليفين و الفتاة تودع فتاها علي

وعد باللقاء غداً للزواج بعد الفرار بما خف حمله .

و يكون طراد بين الباشا و الشاب ، يطلق فيه الأول الرصاص علي الثاني ، بحسبانه لصا بادئ الأمر ؛ فلما يتبين له انه صديق للفتاة من دونه يلذّ للشابّ ان يعذّب الفتاة بتهديد التبليغ للبوليس إنْ لم تخضع لشهواته . و هنا يتفتق ذهن الفتاة عن حيلة ذكية تفوز بها بالزواج من حبيبها ، و تردّ عنها كيد الباشا في الوقت ذاته . فهي توحي للباشا انها سوف تتزوّج الشابّ زواج مصالح فقط ، لتستتر ورائه ، و لكي يحصل الباشا علي ما يريد من إمرأة في كنف رجل أخر ، بدلاً من بنت لم تتزوّج ؛ و بهذا يدفع عن الباشا و ' خليلته القيل و القال ..

هذا بعض ماتحويه مسرحية "اللصّ"

من اثارة و حوادث زاعقة و حسن تدبير و تحريك للأحداث ، غير أنّ توفيق الحكيم يستخدمْ ميلودراما[4] لها ، و لكنّه يضع علي أساسها بناءً فوقيّتاً من الفكر و النقد الإجتماعي و المفارَقات و الفكاهة يعلو بالعمل كثيراً عن مستوى الإثارة.[5]

و اللصّ عند الحكيم ليس الشابّ الذي جاء يسرق فعلاً في مناسبة بعينها ، و إنّما هو الباشا المحترم ، ممثّل طبقة بزيّها من الناس تسرق اليوم و غداً و بعد غدٍ ... طبقة يقوم وجودها علي السرقة كمبدأ و أسلوب حياة ؛ أو كما يقول الشابّ في وضعها : تسمى

---

[4] The term "*Melodrama*" was originally applied to all musical plays, including opera. It is now applied to some of the typical plays, especially during the Victorian Period. The terms 'melodrama' and 'melodramatic' are also applied to any literary works or episode that relies on implausible events and sensational action M H. Abrams, *A GLOSSAY OF LITERARY TERMS,p.162*

[5] مجلة *الهلال* ، العدد ٢٢٤ ، نوفمبر ١٩٦٩ ، ص ٦٩ .

نفسها طبقة رجال المال والأعمال ، و لكنها تأخذ المال لنفسها ، و تترك لغيرها الأعمال .[6]

عمارة المعلّم كندوز

و هي مسرحية بفصل واحدٍ يصفها الحكيم الفنان بأنها من وحي أخلاق الحرب . و بهذه المسرحية يريد الحكيم أن يهاجئ النكاح المادّي و أن يصارع ظهور الإنتهازية لإحتطاف المال و غيرها من المفاسد السائدة في مصر بعيد الحرب العالمية الثانية . و كان أرهف توفيق الحكيم أذنيه و سدّد بصره ، و التقط الحوادث التقاطاً ممّا يقرأ في الصحف أو يتناهى إليه خبره ، أو يحدث في البيت و الشارع والديوان

---

[6] د/ علي الراعى ، *توفيق الحكيم:فنان الفرجة و فنان الفكر* ، ص ٦٩ .

وراء أبواب القصور السميكة . و كانت النتيجة بانوراما كاملة للحياة في القاهرة ، تلقّى أكثر من ظل علي حياة مصر بأكملها في تلك الفترة .

فكذلك يلتقط الكاتب حادثة وقعت في الحياة فعلاً و نشرت عنها الصحف يومذاك ، تدور حول جزار بلدي زوّج بناته الثلاث عن طريق عبّارة له و عدّ بها الزوج الأوّل فالثاني فالثالث علي التوالي ، و وصل بهذا إلي هدفه ، مفيداً من الطمع و الشراهة التي تصيب الناس في مجتمع رأسمالي يقوم علي النجاح من أسير السبل .

فيلتقط توفيق الحكيم هذه الحادثة و يعري بواسطتها المجتمع تعرية قاسية ، و يعرضه بضوء النقد بلا رحمة ، من اول الجزار الذكي الشاطر إلي آخر الشطار الأخرين الاقلّ ذكاءً - عرسان بناته الذين ظنّوا أنّ

وراء القبّة شيخاً فجاؤا يطلبون العمارة و هم يزعمون أنّهم طلبوا الزواج . كلهم يدينهم الفنّان و يظهر طمعهم ؛ حتي الشابّ الذي يضع قدمه علي أولى درجات الحياة العملية ، سرعان ما يدخل هو الآخر في اللعبة - لعبة الأملاك بلا عمل - و يقبل الشقّة أوّلاً و ثلث العمارة من بعد و هو راض سعيد ، لا تتحرّك فيه فكرة في أنّ هذا هو الطريق القويم .

و يرى معاون البوليس ذلك - يرى الجميع شركاء في اللعبة -أو الجرم - فيوصيهم بأن يتّفقوا فيما بينهم علي تقسيم الغنيمة ، و يوافق الجميع في حماس. و المهمّ ههنا أنه في هذا القالب الفكاهي الممتاز ، لنذكر منظر المعلّم و هو يحشر نفسه حشراً في البنطلون - القائم علي تصميم فني دقيق : لنذكر سوء الفهم المضحك بين الخطيب الشابّ و ابي خطيبته حول الشقة و العروسة الذي يتضمّن نكتة جنسية

تنتمي إلي المسرح الهزلي الفاقع، حين يسأل الخطيب المعلم كندوز : هي (أي الشقة و العروس معاً) مقفولة ؟ و لنذكر أيضاً الخطيب الثالث الأصلي الذي راحت عليه نومة ، فجاء يطلب نصيبه من الغنيمة - العمارة العروسة معاً - بعد فوات الأوان ! فيمكن لنا أن نقول في هذا الحيز الصغير الذي تشغله عمارة المعلّم كندوز أنّ المؤلّف يقارن مقارنة عميقة و فعّالة بين الوصوليين و الذين يعملون ، ثم يفرق بين العملين : المعلّم كندوز كان في الأصل شريفاً ، نزوّج إمرأته وهيبة في حدّ ذاتها، كما يقول - لم يجر وراء مال و لا عقار . طلب الإنسان فيها ، هو رجل الشعب الغلبان ، الذي لا سند له إذ ذاك من علم أو جاهٍ أو تجارةٍ . بينما يسعى المتعلّمون سعياً محمولاً وراء الذهب بمجرّد أن يصل إلي آذانهم رنين .

ثمّ يفسد المعلم كندوز من بعد لأنّ كل ما حوله فاسد - يفسد و هو يعلم انّه قد فسد - و لكنّه لا يريد ان يغيّر مما يحيط به شيأ [7]

هكذا ينتهي الفنان توفيق الحكيم إلي هذه الإدانة الكاملة للمجتمع ، لا تستثني أحداً و لا ترى مخرجاً و كل هذا في إطار الفكاهة اللذيذة السهلة. و هذه الإدانة الشاملة ذاتها نجدها فس عمل آخر من أعمال الفنلن و هي أعمال حرّة الذي يختار فيه توفيق الحكيم موثقل هزلياً ممتازاً، يستغله ليقول من خلاله شيأ جاداً كل الجدية.

أغنية الموت :

---

[7] المصدر السابق، ص ٦٩

و هي إحدى المسرحيات المنشورة في مجموعة "مسرح المجتمع" كتبها توفيق الحكيم قصة تمثيلية في فصل واحدٍ مستمدّاً من وحي عادات مصر الريفية . يحاول الفنان فيها أن يظهر المصارعة بين التقليدي و العصري - إحدى القضايا الهامّة في أدب مصر الحديث - أي ما هي قيمة مجتمع الفلاّحين التقليدي بالنسبة إلي سكّان المدن المهذّبين . و هذه المسرحية من أمثال التراجيديات[8] في المسرحيات العربية .

و جاء في المسرحية أنّ علوان - الإبن الوحيد لرجل قتِل في صعيد مصر - قد جاءت به سِرّيّاً إلي القاهرة عساكر الأرملة التي أرادت أن تجعل ذلك الغلام ممهّناً عند خزار حتي يعمّر في القرية لكي ينتقم لأبيه بعد أن يتمهّر في

[8] قسم أرستو المسرحية إلى المأساة (التراجيديا) و الملهاة (الكوميديا) ، و عرّف المأساة بأنها محاكاة فعل مبيل تام ، لها طول معلوم، بلغة مزودة ،بألوان من التزيين تختلف وفقاً لإختلاف الأجزاء، و هذه المحاكاة تتم علي يد أشخاص يفعلون ، لا عن طريق الحكاية و القصص . و تثير الرحمة و الخوف فتؤدي إلى التطهير من هذه الإنفعالات . عمر الدسوقي، *المسرحية : نشأتها و تاريخها و أصولها*، ص ٧٢ .

استعمال السكّين . و في الوقت ذاته أنّها قد أفشت لخدع أعدائها أن ابنها قد مات من مصيبة في طفولته . و لكنّه يجد فرصة للإلتحاق بجامعة الأزهر الدينية و هكذا يريد الوسائل لتتطوّر حالات حياته في قريته العزيزة . فلمّا يرجع إلي قريته تشتاق امه أن ينتقم أباه فوراً لكنّ هو يقول عن نماذجه المتميّزة للإصلاح و عن إرادته تطوير الحياة القروية و يقترحها أنّ الأفضل هو ان يترك الإنتقام علي أيدى البوليس . بل الأمّ تحيّرت بنفسها بسمع هذا الكلام من إبنها و تدعو عليه و تقول ان يتركها و يخرج من بيتها . و أخيراً قتل صميدة علوانَ بأمر أمّه عساكر التي أمرت به كي تهرب عن ثأر زوجها المقتول من جانب الناس .

و بدأت المسرحية بمحادثة مبروكة و عساكر الإمرأتين الجالستين في ثياب

سوداء في دار من دور الفلاّحين في صعيد مصر و هما صامتان حين يأكل عِجل و جديّ الحشائش .

الجيّاع :

و هذه المسرحية من إحدى المسرحيات المنشورة في مجموعة "مسرح /المجتمع" كتبها الأستاذ توفيق الحكيم و نشرها في فصل واحدٍ .

و هي تشير لغة إلي الفقراء الجياع و استعارة إلي نساء المجتمع اللاتي لا يشبعن علي شأن الزوجية الإضافي الوحيد . فإنّ توفيق الحكيم يصوّر فيها التباعدَ المرْعِبَ فيما بين الغني المغذي المسرف و الفقير المحتاج المعدم .

قد اتّفق لعزّت بك - أحد الشخصيّات - في مطعم كبير باذخ علي إعداد عَشاءٍ شهي له و لزوجة صديقه الثري عبد الغني باشا التي كانت تظنّ انّه عشيقها الوحيد . حتي إذا جاءه هذا الزوج الأبله الحقير ، ليبلغه أو يشكو إليه خيانة زوجته مع شخص ثالث و رؤيته لها معه في المطعم المجاور ، اشتاط عزّت بك غضباً و قرّر عدم تناول العشاء المعَدّ و الإكتفاء بدفع ثمنه ، و إذاً به يفاجئ في المطعم بالطفل المسكين الجائع المهلهل الثياب بائع الأوراق الذي اعتاد جرسون المطعم أن ينهره و يطرده كلما جاء ، غير أن عزت بك يتدخّل في هذه المرة لكي يسمع الجرسون لهذا الطفل بأن يجلس علي مائدته و أن يحضر له الجرسون اللحم المشويّ المعدّ ليأكله هذا الطفل المسكين .

النائبة المحترمة :

هذه من إحدى المسرحيات المنشورة في "مسرح المجتمع" كتبها الفنان الكبير توفيق الحكيم قصّة تمثيلية من وحي الحركة النسوية و نشرتْ في منظرين .

إنّ توفيق الحكيم يحاول فيها ان يظهرَ الإستحالة لنائبة أن توافق بين وظيفتها في البرلمان و خدمتها فيْ البيت أمّاً أو زوجةً في وقتٍ واحدٍ .

فنرى فِي المنظر الأوّل منها أنّ الزوج عبْد السلام حمودة يسهر في جوار طفله الصغيرْ - كان في الرابعة مِن عمره - بينما أنّ زوجته النائبة المحترمة كانت مشغولة في البرلمان . و في المنظر الثاني نرى النائبة المحترمة أنّها قد عادت بعد طول انتظار إلي بيتها و لكنّها لم تكد تعود حتي اتّصل بها وزير الإشتغال تليفونياً مستاذناً في زيارتها ، و يأتي الوزير فيطلب

إليها أن تعمل علي أن يسحب نائب زميل لها في الحزب استجوابه للوزير عن مشروع جبل الأولياء ، و في إثناء ذلك يعلم الوزير أنّ زوجها عبد السلام آفندي موظّف منسي بالدرجة الخامسة في وزارته ، و يلمح للنائبة المحترمة بمساومتها علي ترقّيته إذا استجابت لطلبه . و لكنّ النائبة المحترمة ترفض أن تخون مبدأها و حزبها في سبيل ترقّية زوجها المنسي ؛ و لكنّا نرى في نهاية المنظر انها تبعدّ استقالتها من المجلس و لا يشترك في امثالها النوّاب من الرجال الذين كثيراً ما كانوا يساومون الوزراء علي ترقّية قريب أو نسيب .

العشّ الهادئ :

هذه المسرحية من إحدى المسرحيات التي نشرت في ضمن "مسرح المجتمع" للإستاذ توفيق الحكيم و صدرت في أربعة فصول مستوحيا من الحياة الفنية . و قد عالج المؤلف في هذه المسرحيه مشكلة العلاقة بين الرجل و المرأة بوجه عام ، و بينهما و بين الأديب أو الفنان بنوع خاص كما عالج هذه المشكلة في عدد كبير من مسرحياته المختلفة المصادر ؛ مثل مسرحية "المرأة الجديدة" التي كتبها في صدر شبابه و قبل أن يسافر إلي فرنسا ، و مثل مسرحيات " إيزيس و "بيجماليون" و "شهرزاد" و "الخروج من الجنّة" و غيرها . و اما المسرحيات الذهنية لتوفيق الحكيم التي يعالج فيها هذه المشكلة علي أساس أسطوري تفضل مسرحيات التي يعالج فيها نفس المشكلة علي أساس إجتماعي واقعي بعمق مضمونها و شاعرية حوارها و رفاهية فنّها الدرامي .

فالفصل الأوّل فيها يبدأ بكاتب - اسمه فكري - كان جالساً في بهو الفيلا أمام البحر في الإسكندرية ، يئيساً يحاول أن يختم الكتابة لفيلم علي خلفية مقاطعة جارية ، مبتدأ من مال الفيلم ابي النجف - الذي كان سميناً غير مثقّفٍ و لكنّه كان عاطفاً - و الذي كان يفتن بالراقصة الناشئة ميمي - و الذي يخيل إلي ان يجعلها نكمة سينمائية كي يجبر إشتياقها ؛ ثمّ من ميمي نفسها و كانت هي تشمئزّ من ذلك المال ـ و التي تحاول ان تجلب قلب الفنان هنّزواً ثمّ من المخرج جلال - الذي قد سلب لبّه بإمرأة جميلة -وجدها تطوف علي وجه البحر تتبعه حتي كان لا يقدر ان يقدم بنفسه . ثمّ إذا تغمر تلك المرأة في ماء ذلك البحر فيحملها الفنان مغطياً كاملة بإماء دافعي رغم قدرته علي السبح حاسباً أنّها ستنتحر نفسها . فنجد هنا

تصوير الشيوع المعينة الإنتقادي لمجتمع مصر بعَيْدَ الحرب العالمية الثانية .

ثمّ نجد في الفصل الثاني من المسرحية أن الفنان في المستشفي بعد أنْ انقذ من الغرق بدرية - المرأة الناشئة - وثبَ في البحْر لينجيها . فجاء رجال الشرطة ليفحَصوا ذلك الحادثة بل لم يجلو خياله الأصلي فيها و يكتشف للفنان هذا التقرير البوليسي سهلاً ان هذا هو الرجل الذي كان يحاول ان ينتحر و حتي يجيزهم انْ ينكتبوا في تقريرهم انه كان فعل ذلك من المرأة التي يحبّها . و نحن نرى ميمي أيضاً في المستشفي ذاتها لمعالجة إحدى أيديها التي كسرها المالي ، فعل ذلك بتحريض الفنان الخبيث فانّه في زعمه من أيسر الوسائل لجذب قلب إمرأة إليه ان يكسر إحدى أعضائه بعصاً . فكذلك يختم الفصل الثاني بإلتقاء درية و الفنان و تزوّجهما أخيراً .

و يصدر الفصل الثالث بنزاع فعلي بين درية الذكية و فكري . فاتي المؤلف توفيق الحكيم فيه بشروطه للتوافق علي الألفة في حياة المرء المتزوّج و غيرها ممّا يتوسّل في حياته . هذا و انّ الحكيم يحاول محاولة أخيرة انْ يصل إلي الجمهور العريض دون تنازلات ذات بال . فيعود هنا الفنان إلي موضوع الغرامية و الجنسية الرشيقة و المختصرة بين فنان مثالي و بين تلك المرأة القادرة علي إدارة الحوار الفكري العاطفي . و في الفصل الرابع نحن نجد تصويراً هزلياً في حياة فكري المنزلية - يعكس العشّ الهادئ- الذي وعده درية أنْ يوفر له . و كانت له زوجة ذات ضجة و ضعف و له طفل مريض مستمرّ العناية له . و هذا التصوير ليس بعديم العوامل المضحكة له ؛ مثل قدوم الممرّضة لطفلهما ، و لكنّ هي التي تصبح شديدة الحمل . بل في الحقيقة هي التي تولد

ولدها حين كانت تخلو في مصعد البيت مع فكري - الذي قد أمرته إمرأته انْ يذهب بها إلي المستشفيٰ . ففي الأخير قد أضيف إلي العش الهادئ مولود صارخ من جديد .

و أنّ مسرحية "العش الهادئ" ليست مسرحية موحدة البناء ، حتي قد قيل إنّها تتكوّن من مسرحيتين ، و هما : "*سيما أونطة*" و "*بيجماليون*" . فالفصل الأول منها يعرض منتجاً سينمائيّاً أثري من تجارة الخيش و اراد ان يزداد ثرءا من تجارة السينما مع اتّخاذ هذا الفنّ وسيلة لصيد الفتاة الراقصة ميمي التي تثير لعابه الحيواني ، و قد اتّفق مع مخرج افاق علي انتاج فيلم بشرط انْ يفصل فيه الأديب الكاتب الأستاذ فكري دوراً ينجح في إغراء ميمي و يمكن الحيوان المنتج منها .

عودة الشباب :

و هي إحدى المسرحيات المنشورة في مجموعة 'مسرح المجتمع' كتبها توفيق الحكيم في أربعة فصول من وحي المجتمع و العمل الحديث . يعالج فيها الحكيم قضية الصراع بين الإنسان و الزمن . والهدف الأساسي في هذه المسرحية هو الإظهار بأنّ كفاح الإنسان علي الزمن و الشيخوخة عبث لا طائل فيه . و مثل هذه المحاولة كانت رائجة في مجتمع مصر ؛ ولو كانت هذه المسرحية تعتبر من مسرحيات الحكيم الذهنية - فإنّه تشغل أذهاننا أكثر من عاطفتنا - فلم يكن موضوعها ذهنيّاً فحسب بل كان علميّاً و إنّها تصلح للتمثيل أيضاً ففي الحقيقة انّها تعالج قضايا العلم الحديث ـ وقد كتبها الحكيم أوّل الأمر باللغة الفصحى و نشرها ضمن "مسرح المجتمع" باسم 'لو عرف الشباب' غير انّه عند ما فكّرت الفرقة القومية في تمثيلها كتبها باللغة

العامية ، و إنّه فضّل تغيير عنوانها بحيث يتّفق مع حقيقة مضمونها .

و خلاصة المسرحية هي أنّ شيخاً اسمه صديق باشا رفقي ، قد سمع من الدكتور طلعت ، الذي عالجه لمرضه القلبي انّه قد اخترق في تجرباته علي الحيوان بإعادة الشباب . فكذالك طلب باشا إلي الدكتور هذا انْ يعيده إلي الشباب . فعاد الباشا إلي شابٍّ في العشرين من عمره بعد أن احتقنه الدكتور في الحمام بفضل حقنة من إكسير الحياة اكتشفها العلم الحديث . و صار جميلاً ناشئاً ذا جاذبية للشابات بحيث لا يعود يتبيّن حقيقته حتي اقرب المقرّبين إليه : زوجته و ابنته . و لكنّه فوراً يلاقي مشاكل لا ترتقي في أعمال حياته اليومية . و في الوقت نفسه جاء ذلك الدكتور الذي كان قد لاقته البوليس بصدد إضمحلال الباشا ، و بدأ يشكّ هل هوذلك المريض عينه أم لا و يصير مضطرباً

ذهنياً شيئاً فشيئاً ثمّ يسلّم إلي المستشفي الطبّنفسي . و مع ذلك فإنّ الباشا يعدّ أنْ يستخرجه إنْ اتي به الدكتور تِرياقاً ليعيده إلي عمره الحقيقي يعني الشيخوخة . فبدور حادثة عجيبة ظهر الباشا إلي منظره النهائي الماضي مثلما أراد الباشا بعد أنْ احتقنه الدكتور . بل أخيراً يصاب الباشا بضعف شديد و يموت . و قبل الموت أرشد الباشا للدكتور طلعت أنْ يعد معاملته العجيبة علي الأرانب .

فنجد هنا أنّ الشيخ يدرس ماتصوّره من نتائج محتملة لهذه العودة إلي الشباب و يفضّل في النهاية أن يعود إلي شيخوخته و أن يلتزم مكانه في صفّ الإنسانية المتلاحق به .

أريد هذا الرجل :

و هي أيضاً من إحدى المسرحيّات التي تضمنتها 'مسرح المجتمع' كتبها الأستاذ توفيق الحكيم في فصل واحدٍ مستوحياً من قضيّة حرّية المرأة . ففي هذه المسرحية يجعل الأستاذ الحكيم مخاجة لمساواة النساء بالرجال و لحقوقهنّ مثلهم عند الزواج .

و المسرحية تقع في حجرة مكتب محامٍ اسمه فؤاد عبد اللطيف و تبدأ بمكالمة وكيل مكتبه مع نايلة التي هي الشخصية الرئيسية في هذه المسرحية . ثمّ تجري مكالمة نايلة مع دِرية - و هي شخصية هامة أخري فيها - فتجدها دريةُ تتجمّل و تنتظر فؤاد عبد اللطيف المحامي لتتزوّجه و لو لم يعرفْها قط و لم يرَها و لم يشعر وجودَها فتعتبرها دريةُ مجنونةً و تعجّبت عنها . فتفسّر لها نايلة كاشفةً وجهَ ذلك الخيال في السطور المذيلة :

إنّي أعرفه . . لقد سمعته يترافع في قضية الإغتيال السياسي الشهيرة ،فاستطعت أنْ أستشف من كلامه نبل شخصيته ، وكان صوته وتفكيره و مشاعره، و كل ما يصدر عنه كلمات و إشارات يستلب كل انتباهي، ثمّ تبعته بعد ذلك في حياته العامة ، في محاضراته و مقالاته ، و آرائه السياسية . . . بل تبعته حتي في إتّهاجاته الحزبية . فأنا أعتنق، منذ اهتممت به ، رأي الحزب الذي ينتمي إليه ، لقد خيِّل إليّ أني أعرف ((فؤاد)) معرفة وثيقة ، و أنه يجب أن يعرفني . . . ثمّ تطوّر الأمر في نفسي حتي أيقنت انّه الرجل الوحيد الذي يصلح لي ،و انّي المرأة الوحيدة التي تصلح له ، ولقد علمت انّه لم يتزوّج بعد ، و انّي واثقة انّه ما من إمرأة غيري تستطيع انْ تفهمه وتسعده . . . . [9]

---

[9] نوفيق الحكيم : *مسرح المجتمع*، ص ٢٣٦ .

و أيضاً تظهر نايلة خيالها قائلة :

لا توجد طريقة غيرها عندي . . . أريد هذا الرجل . . . و لا بدّ أنْ أناله ! . . . [10]

هذا و يبيّن الحكيم في هذه المسرحية موقف المرأة في المجتمع بمقابلة الرجال بلغة نايلة أنّ المرأة عندها مخلوقة عاجزة بليدة لا تسمح لها بإرادة ، بل عليها أنّ تنتظر إرادة الرجال، و لا تؤذن لها بإبداء حركة بنفسها ، بل عليها أنْ تصبر حتي تترقب الحركة التي يبدئها الرجل . و يناقش الحكيم من جانبها ما ينبغي لها من الوضع في مجتمع ؛ و هو أنْ تكون للمرأة اليوم إرادة مستقلّة ، و أنْ تطلب بحقوق المساواة لها مثلما كانت للرجل في

[10] المصدر السابق .

ميادين المجتمع و السياسة ، كما جاء في السطور التالية :

نايلة : لم أنس أنّي إمرأة . أي ذلك المخلوق العاجز البليد ، الذي لا يسمح له بإرادة . . . . . .

. . . يجب أنْ تكون للمرأة اليوم إرادة ، . . إلخ .[11]

ثمّ تنقد نبايلة موقف الرجل بمقابلة الرجل في المجتمع و تقول سخرية أنّ الرجل نسيطر في المجتمع كلّ من الشجاعة و القدرة و الرغبة يتجاهل وضع المرأة فيه و كأنّ خيال الرجل يجعلها سجينة البهتان و الكذب و السخف ؛ فيجعل منها مخلوقة أشبه بعرائس الموالد ، لا تستطيع أنْ تتحرّك إلا بيد الرجل و لا أنْ تتحمل أكثر من إشارته .

---

[11] المصدر السابق ، ص ٢٣٧ .

هكذا كان الوضع في مجتمع مصر في الشؤون النسويّة و جاء الوعي العامّ في النساء لحقوقهنّ بحركة كتابية مسرحية مثل هذه للأستاذ توفيق الحكيم حينذاك .

أريد أنْ أقتل :

هذه أيضاً من إحدى المسرحيات في 'مسرح المجتمع' لتوفيق الحكيم المنشورة عام ١٩٥٠م المكتوبة بفصلٍ واحدٍ من وحي الطبائع البشرية السائدة في مجتمع مصر وقتئذٍ .

و من الحق أنّ توفيق الحكيم قد استطاع بمهارة فائقة أن يعالج أحياناً صفوة الغرائز البشرية ذاتها و هي اشدّ العوامل الفعالة في سلوك الأفراد و أخلاقهم . فإنّ الحكيم يصوّر في هذه المسرحية رأيه المتشائم عن

الزواج. فإنّ الخدعة في الزوجين كليهما تكشف حقيقتها أخيراً بعد أن كان كل واحد منهما مستعدّين عازمين لتضحية الحياة للآخر.

و ذلك ما نلاحظ في هذه المسرحية حيث يعرض الفنان رجلاً و زوجته يتبادلان عبارات الإخلاص و الوفاء و فرط المحبّة و الإيثار حتي ليعلن كلّ منهما رغبته في أن يسبق رفيقه إلي الموت حتي لا يفجع في أعز مخلوق لديه ؛ كما جاء في النص ذاته :

الزوج . . . نحن الإثنان . . . كلّ الدنيا . . . وكلّ الكون

. . . روح في جسدين . . . و حياة في شخصين . . . .

الزوجة : أنتَ أيضاً يا عزيزي فؤاد ! . . .

الزوج : نعم إنّي أعيش في خوف دائمٍ من ان يصيبني

سوء . . . فتفجعني . . و من انْ يصيبكِ سوء

. . . فأموت . .

الزوجة : إذا كان لا بدّ للسوء من أنْ يصيب أحدنا . . .

فأنّي أفضّل أن أكون لك الفداء . .

. . . . . .

الزوجة : كفي يا فؤاد . . . . . اللهمّ اجعل

يومي قبل يومك ! . . . [12]

و في تلك الأثناء تقتحم المسكن فتاة - إسمها سهام - مصابة بلوثة تسكن بجوارهما و تدخل شاهرة مسدّساً ، و تنبئهما أنّها لا بدّ أن تقتل أحداً اليوم و إنّها تترك الخيار في أن يختار من بينهما مَن تقتله ؛ و عندئذ ينسي الزوجان كل حديث الحب و الإيثار الذي كان في ذهنهما و يأخذ كل منهما يضرع إلي الفتاة لكي تقتل الشخص الآخر ، و ذلك لإستيقاظ غريزة "حب الحياة" أمام خطر الموت و طغيانها علي كل عاطفة ، فهذا كلّه يكشف خدعة الزوجين لبعضهما بعضاً ؛ و لكنّ في النهاية

---

[12] المصدر السابق ، ص ٣٨ .

تطلق الفتاة مسدّسها فإذاً به محشو بالبارود بدلاً من الرصاص و ينجو الزوجان و يبتسم القارئ ؛ وهذا النص من المسرحلة يصوّر النفاق في الحياة الزوجية تصويراً كاملاً ؛ كما جاء في النص :

الفتاة : المسئلة في غاية البساطة : جئت لأقتل . . .

لأقتل أحدكما .

الزوجة : (بصوت مرتجف) سهام ! . . . سهام ! . .

. . . . . .

الزوج : أ يرضيكِ إذن أنْ ترفعي يدكِ نحوَنا بسوءٍ ! . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

الزوج : (متوسّلاً) يا آنسة ! . . .

الفتاة : (صائحة في تصميم) أنتِ أيّتها الزوجة . . .

بعدمي ! . .

الزوجة : (فزعة منهارة) أنا ! ! . . لا . . لا . . لا ..

الفتاة : لا تريدين أنْ تموتي ؟

الزوجة : لا . . لا . . لا .

. . . .

. . . .

الزوج : أنا ؟ لا . . . لا يا آنسة . لا . . ..

أتوسّل إليكِ دعيني أعش . . [13]

أصحاب السعادة الزوجية :

[13] المصدر السابق ، ص ٤٤-٤٥ .

و هي أيضاً من مسرحيات 'مسرح المجتمع' كتبها الأستاذ توفيق الحكيم مستوحياً من الحياة الزوجية و نشرها في فصل واحدٍ . و في هذه المسرحية أيضاً يصوّر الحكيم رأيه المتشائم عن الزواج .

ففي هذه المسرحية يبدو الزوجان بدون كفاءةٍ و يجد أحدهما الأخر إمّا متبلّد الحس أو عديم العقل . فكذالك كان وضع حالة الزوجية في مجتمع مصر .

الساحرة :

و هي أيضاً من المسرحيات التي تضمّنت " مسرح المجتمع " لتوفيق الحكيم ، و

قد كتبها الحكيم بفصل واحدٍ و هي من وحي الحادثة الجارية في مجتمع مصر حينئذٍ .

و في هذه المسرحية يصوّر الحكيم كيف كانت تستطيع النساء أن يصدْنَ أزواجهنّ قاسية مصمّمةً بالسحر المسيطر ؛ فنحن نرى في هذه المسرحيةَ أنّ البطل سعاد - عمر ها ستّ عشرة سنة - كانت تدخل بيتُ عزّ الدين و اتت جرسون -خادم عزّ الدين -بقطعة سكر تريد من الخادم أن تدسّ تلك القطعة في السكر الذي عندهم و أن تحضر مع الشاي المملوء بها الذي سيشربه عزّ الدين بعد . فبعد تناول الشاي صار عزّ الدين شديد الحب لها حتي يتشكّر لها و يثني عليها قائلاً :

إنّي أرى كلَّ شيءٍ جميلاً . . . رفيعاً . . .

مهذّباً . . . كريماً . . . لطيفاً . . . رائعاً

. . . سامياً . . . رقيقاً . . . بديعاً ! . . . .[14]

و توجد في كل حركة تلك المرأة سحرة لا تفهم أوّل الأمر أصلاً بل يكون الرجل سجين بيانها و مصطاد أوتارها .

بيت النمل :

و هي أيضاً من إحدى المسرحيات المنشورة من ضمن ' مسرح المجتمع ' التي كتبها الأستاذ توفيق الحكيم بفصل واحدٍ مستوحياً من المعتقدات الشعبية .

---

[14] المصدر السابق ، ص ٣٩٧ ص.

و هذه المسرحية للحكيم دراسة لأمنية الموت لمناسبة الإعتقاد الشعبي . و فيها يصرّح الحكيم أنّ جنّيةً قد صارت عاشقة لشابٍّ في نحو الثلاثين من عمره و كان هو طالباً في فنّ العمارة ؛ ثمّ تغريه الجنّية و تجذبه إليها لكي يعيش في عالم الأرواح العالي معها . و لكن مات ذلك الشاب الساذج أخيراً بصدمة القلب ، فهو كله كان من مكر تلك الجنّية و مكيدها الشرير للرجال .

****